



الأَخْلَاقُ كَائِنٌ حَيٌّ، يَعِيشُ دَاخِلَنَا، يُولَدُ مَعْنَا، فَهُوَ مِنَ الْفَطْرَةِ السُّوَيْةِ الَّتِي امْتَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْبَشَرِ بِتَكْرِيمِهِمْ وَتَفْضِيلِهِمْ بِهَا.
وَهَذَا الْكَائِنُ الطَّاهِرُ السَّامِيُّ قَدْ يَكُونُ مِنْ خَصَائِصِ أَرْوَاحِنَا (السُّرُّ الرِّبَانِيُّ الَّذِي يُعْطِي أَجْسَادَنَا الْحَيَاةَ، وَبِانْتِزَاعِهِ نَوْتَهُ)،
وَقَدْ يَكُونُ هُوَ خَاصِيَّةُ الْعُقْلِ الَّذِي يَمْيِّزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْعُقْلُ هُوَ ذَلِكُ الْجُزْءُ الشَّرِيفُ فِينَا، الَّذِي بِهِ تَمْيِّزَنَا عَنْ بَاقِي
الْحَيَوانَاتِ، وَبِهِ أَمْكَنَنَا تَحْمِلُ أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ وَالْمَحَاسِبَةِ.
لَذِكَّ إِنْدَارُ الْأَخْلَاقِ هُوَ مَوْتُ رُوحِيِّ، كَمَوْتِ الدِّمَاغِ مَعَ حَيَاةِ الْقَلْبِ! وَسُوءُ الْأَخْلَاقِ هُوَ اخْتِتَاقُ لِلْفَطْرَةِ، تَحْبِسُ أَنْفَاسَهَا
كَمَا تَنْهِبُ أَنْفَاسَ الْغَرِيقِ!

وَإِذَا مَاتَتِ الْأَخْلَاقُ لِحَظَّةٍ مِنَ الْلَّهَظَاتِ، فَلَا تَصِدِّقُ أَنَّهَا سَتَعُودُ لِلْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَعُودُ إِلَّا بِمَعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَاتِ، أَوْ يَوْمِ
الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ!!

فَلَا تَتَصَوَّرُ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَكُونَ ذَا أَخْلَاقَ مَرَّاتٍ، وَعَدِيمَهَا مَرَّةً!! كَمَا لَا يَحْقِّقُ لَكَ أَنْ تَتَصَوَّرُ أَنَّهُ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَأْخُذَ إِجازَةً مِنْ
رُوحِك!!

لَا تَنْظُنْ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيبِ أَخْلَاقِكَ بِحَجَّةِ الْإِنْتِقَامِ أَوِ الْمُعَامَلَةِ بِالْمِثْلِ، ثُمَّ إِنَّكَ تَسْتَطِعُ إِحْضَارَهَا مَرَّةً أُخْرَى! فَمَا غَيْبَهُ
الْمَاضِي لَا يَعُودُ، كَمَا لَا يَعُودُ الزَّمِنُ الْمَاضِي.

كُلُّ الَّذِي يَحْصُلُ بَعْدَ أَنْ تَقْتُلَ أَخْلَاقَكَ، وَبَعْدَ أَنْ تَفْسِدَ فَطْرَتَكَ بِهَا، هُوَ أَنَّكَ تَتَصَنَّعُ أَخْلَاقَكَ، تَحَاوُلُ التَّظَاهُرُ بِهَا؛ لِتَرْضِي نَفْسَكَ،
أَوْ لِتَخْدِعَ الْآخِرِينَ!

وَهَذَا مَا يَجْعَلُ الْأَخْلَاقَ الْمُصْطَنَعَةَ، الْأَخْلَاقَ الَّتِي سَرَعَانَ مَا تَبَخَّرَ عَنْ أُولَئِكَ الْاحْتِكَاكِ، هِيَ أَخْلَاقُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، مَمْنَنَ لَمْ تَكُنْ
الْأَخْلَاقُ فِيهِمْ جِبَلًا وَسُجَيْةً (كَأَصْلِ خَلْقَتِهَا)، وَإِنَّمَا هِيَ قَنَاعٌ يَغْطِي حَقِيقَتَهُمْ، يَغْطِيَهَا عَنْ مَرَأَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَنِ الْآخِرِينِ!!
وَمَا أَقْبَحُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الْمُصْطَنَعَةَ، فَهِيَ كَالْفَخُ الَّذِي يُنْصَبُ لِلْغَافِلِينَ، فَتَخْدِعُ بِظَاهِرِهَا رَاجِيَ السَّلَامَةِ مِنْ أَذَى الْخُلُقِ، وَتَنْطَبِقُ
بِشَرَاكِهَا عَلَى مُحَسِّنِي الظَّنِّ بِعِبَادِ اللَّهِ!!

فَمَنْ ظَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ دِيَنَا أَوْ حِكْمَةً تَبِعُكَ أَنْ تَشْتَمَ وَتَسْبَ، أَنْ تَسْفَهَ وَتَجْهَلَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، أَنْ تَقَابِلَ إِسَاءَةَ الْعُدُوْنَ (لَا
بِالانتِصَافِ بِغَيْرِ عُدُوْنَ) = فَقَدْ كَذَبَ فِي ظَنِّهِ، وَأَسَاءَ إِلَى دِيَنِهِ، وَسُوَّدَ وَجْهَ الْحِكْمَةِ الْمُضِيِّ؛

فَلَا يَمْكُنُ لِأَيِّ دِيَنٍ يَدْعُـي أَصْحَابَهُ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ أَنْ يَسْمَحَ بِإِعْدَامِ الْأَخْلَاقِ لِدِيكَ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَحْرِيْفًا عَنِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ. وَلَا

يمكن لحكمة أن تجتمع والسفاهة، إلا أن تكون جهلاً، لا حكمة!!

أخيراً:

أنصح من قتل فيه روح الأخلاق، من أعدم فطرتها في نفسه، أن يحرص على أن يتعرض لنفحات معجزة إحياء الموات، أن يبذر بذرة الخير والأخلاق فيه من جديد، أن يسهر على سقيها، أن يحرص على تعريضها لحرارة شمس الحق؛ لكي تنبت من جديد. عسى أن تحيا أخلاقه بعد موته، وأن تنشر من قبرها قبل يوم النشور، وما ذلك على كرم الله تعالى ببعيد، ولا عن سُنن الكون في إحياء موات الأرض ومن فيها بغرير!!

لكن عليه أن يعود إلى خطيئة الإمامة من جديد، فما مات، مرتين، لن يحيا ثالث مرات!!

المدينة

المصادر: